عزيز المصرى يطارد الشيطان

****

كنت سعيدا بانتصارنا ، فقد اضطرت رياسة الجيش الى سحب اوامرها بتسليم اسلحتنا الى القوات البريطانية . وكنت انـــا وراء هـــذه العملية . واقنعت زملائى برفض تسليم سلاحهم للانجليز الا على جثثنا !

يومها اذداد حماسى , وتصورت ان من السهل جـــدا ان نقـــوم بثورة مسلحة تقتحم القاهرة ، ونطرد الانجليز ، ونعلـــن الاســـتقلال ! واستطعت اقناع زملائى بالاشتراك معى فى القيام بـــالثورة المـــسلحة . واتفقنا على ان نتجه بجنودنا واسلحتنا ، الى نقطة خلف مينا هـــاوس عند مدخل القاهرة .

وبالفعل .. وصلت الى نقطة التجمع , وانتظرت وصـــول بـــاقى الزملاء وطال انتظارى .. ولم يحضر احد ! .

اغارت القاذفات الايطالية على القطار القادم من مرسى مطـــروح فى طريقه الى مدينة الاسكندرية . وكان القطار يحمل عددا من الضباط والجنود الانجليز . وكنتا الضابط المصرى الوحيد الموجود فى القطار . والقطار مصرى وقطار حربى ... اى انه اساسا للعسكريين وعلى الفور توليت مسئولية اتخاذ القرارات بعد ان انتهت الغـــارةليس فقـــط بحكـــم اقدميتى بالنسبة للضباط الانجليز المسافرين معنا فى القطار , وانما اولا بحكم مصريتى ووجودى فى ارض مصرية وداخل قطار مصرى .

ولم يعترض الضباط الانجليز , بل انهم كانوا يسالون عن اقدم ضابط مصرى لكى يتولى مواجهة الموقف , ووافقوا على تنفيذ تعليماتى لمواجهة الموقف , وتوجهت الى القاطرة ' بعد ان انتهت الغارة ، للاطمئنان على السائق وزميله العطشجى .

وكان الاخير مصابا اصابة قاتلة ومات فى مكانه اما سائق القطار فكان جالسا متربعا امام باب فرن القاطرة , والدم ينزف بغزارة من راسه وهو يتمايل ويقول بصوت خافت : " لا اله الا الله ، محمد رسول الله " .

واسرعت انادى على اول عربة اسعاف بريطانية جاءت من معسكر باجوش القريب من ذلك المكان , لمحاولة انقاذ السائق المصاب ...

ونزلت من القاطرة ابحث عن الضابطين الانجليزيين , ففوجئت بهما داخل احدى العربات التى بها ركاب من الجنود الانجليز , الذين قتلوا بطلقات المدافع الرشاشة التى اخترقت سقف العربة ، واخذ يفتشان فى جيوب قتلاهم ويسلبان ما فيها من نقود وساعات وعلب سجاير ! هكذا بكل بساطة ، وبطريقى تلقائية ، ليس فيها اى مظهر من مظاهر الانسانية او احترام للموتى ! وطلبت من الضابطين مساعدتى فى نقل سائق القطار المصاب الى المستشفى . ولم يردا على الا بعد ان انتهيا منعملية " التهليب " التى كان يقومان بها ! وبدانا نقل الجرحى وفى هذه المرة تنبه الانجليز الى وضعهم كمحتلين لبلادنا . فاصروا على نقل جرحاهم اولا ثم نقلنا السائق المصرى ــ واذكر ان لقبه خاطر ولا اتذكر اسمه بالكامل ــ الذى لم يتحمل عملية النقل ، وعلمت انه مات وهو فى الطريق الى المستشفى .

وعدت الى القاطرة واخذت الحقيبة الصغيرة الخاصة بالسائق . وحملتها وسلمت محتوياتها الى الخزانة الرسمية ـ كما تقضى التعليمات ـ وكان بداخل الحقيبة ماهية السائق التى كان قد قبضها فى صباح نفس اليوم , ولم يسعفه العمر لتسليمها الى اسرته , ولم اكتف بذلك وانما كتبت تقريرا اتهمت فيه الانجليز بمسئولية اهمال نقل السائق خاطر .

واصرارهم على نقل قتلاهم اولا . وذكرت فى التقرير ان الانجليز رفضوا رايى بضرورة نقل المصاب اولا ومحاولة انقاذ حياته . ورفعت التقرير الى قيادة سلاح الاشارة .

واصيب قائد السلاح ـ وهو مصرى ـ بالخوف والهلع ، فكيف يمكن لضابط صغير مثلى ان يوجه هذا الاتهام الخطير للانجليز الذين كانوا يسيطيرون على كل شئ فى البلد ! ولم ينس قائد السلاح ما سببته له من احراج بسبب تقريرى . وحاول بكل مافى استطاعته ان ينتقم منى , بعد ذلك ، بكل ما يملكه من سلطة ، سامحه الله وغفر له . ولم اهتم بهذا كله كعادتى ..

فقد كنت حزينا من اجل السائق , وكنت اعتقد ان اهمال الانجليز فى نقله الى المستشفى بسرعة ، هو الذى تسبب فى وفاته . فاذداد حنقى وكراهيتى للانجليز .. الذين لم تهتز لهم شعرة واحدة امام جلال الموت , واهتموا فقط بسلب ونهب جنودهم القتلى !

وسلمت الايصال الدال على وجود حقية السائق " خاطر " لافراد اسرته . ليستردوها وبداخلها ماهية الرجل المسكين التى لم تزد عن ثلاثة عشر جنيها !

وعدت الى معسكرى , وانا اكثر حماسا وتصمصما على تشكيل التنظيم السرى من الضباط الاحرار , لانقاذ البلاد من هذا المحتل البغيض الجاثم فوق انفسنا .

وفى هذا الوقت وقف على ماهر باشا واعلن ا، " سياسة مصر هى تجنيبها ويلات الحرب " وكان الانجليز يريدون ان يدخل الجيش المصرى ليحارب معهم ضد المحور .

وثار الانجليز على على ماهر ثورة عاتيه , وهى التى أدت الى القبض عليه وطرده , بعد ذلك , ولم يكن قرار (تجنب مصر ويلات الحرب) مجرد اغاظة للانجليز فقط ، وانما كمطلب شعبى عام .

وصدرت الاوامر بسحب القوات المصرية من مطروح ، وترك مواقعها للانجليز لمواجهة حربهم ضد الايطاليين . ولم يستطع الانجليز الغاء هذا القرار . فقط طالبونا بترك اسلحتنا لهم !

وسعدت بهذا القرار سعادة كبيرة . فقد كنت انا صاحب هذا الرأى , وكنت قد اقنعت الضباط برفضهم تسليم اسلحتهم الى الجيش البريطانى ، ولم تستطيع رياسة الجيش المصرى ان تجبرنا على تسليم اسلحتنا واضطرت الى الموافقة على وجهة نظرنا ، والعودة للقاهرة بسلاحنا .. يومها انفعلت وتحمست ، وتصورت ان من السهل جدا ان نقوم بثورة مسلحة ضد الانجليز ويكتب لها النجاح كما كتب لموقفنا من مسالة تسليم الاسلحة . واستطعت ــ بالفعل ــ اقناع زملائى بالقيام بالثورة , بمجرد عودتنا الى القاهرة .

ووضعت خطة سريعة , تتلخص فى ان نتجمع نحن القوات المصرية المنسحبه من مرسى مطروح بكافة اسلحتنا عند مدخل القاهرة ــ خلف فندق مينا هاوس ــ بعد عودتنا من مرسى مطروح عن طريق

اسكندرية / القاهرة الصحراوى , ثم نتوجه راسا الـــى قلـــب القـــاهرة لاحتلالها ، واعلان ثورتنا المسلحة !

وبدأنا تنفيذ خطتنا السرية :

وقمنا بشحن الاسلحة الثقيلة بالقطار ، واما الاســلحة الخفيفـــى بيتم نقلها بالسيارات . واتفقت مع زملائى على ان نقـــضى ليلـــة فـــى الاسكندرية ، ثم نواصل سيرنا فـــى اليـــوم التـــالى ، عبـــر الطريـــق الصحراوى الى القاهرة ، ونتجمع خلف فندق مينا هـــاوس .. وهنـــاك نتفق على الخطة وتوزيع الادوار ، والمـــسئوليات ، قبـــل ان نقـــتحم القاهرة ونعلن عن ثورتنا .

وبالفعل قمت بتنفيذ الخطة من جـــانبى . وامـــضيت ليلـــة فـــى الاسكندرية , ثم توجهت فى اليوم التالى الى القاهرة . وخلف فندق مينا هاوس توقفت ومعى اسلحتى ورجالى . وانتظرت . وطال انتظـــارى ، ولم يظهر احد ولم يأتى ضابط واحد .

واتضح اننى الواحيد الذى التزم بالاتفاق الـــسرى . وتبـــين ان الضباط الذين اتفقوا معى على القيام بالثورة ، والتوجه الى خلف فندق مينا هاوس ، اخلوا بالاتفاق . او لعلهم نسوه تماما مـــع فرحـــة تـــرك صحراء مطروح ، والعودة الى الاهل والاصحاب فـــى القـــاهرة ! فقـــد قرروا عدم المبيت فى الاسكندرية ــ كما اتفقنا من قبـــل ــ وواصـــلوا رحلتهم تجاه القاهرة ، ووصلوا قبلى بيوم كامل ، فلم يتوقفوا عند مينا هاوس ، وانما اسرعوا الى منازلهم فى قلب القاهرة !

وفشل التوقيت الاول للثورة الاولى التـــى خططتهـــا ووجـــدتنى وحدى .

وواصلت طريقى حتى معسكر سلاح الاشـــارة فـــى المعـــادى . وهناك قررت ان اعيد اتصالى بعزيز المصرى مرة اخرى . فلم يزعزع فشل الثورة الاولى التى اردت القيام بها من تصميمى علـــى ضـــرورة التحرك , والاعداد لثورة مسلحة تحقق امانى وامال شـــعبنا . بـــل ان فشلى الاول اعطانى الفرصة للدراسة والتخطيط السليم .

وكنت اتابع هزائم الحلفاء على ايدى دول المحور ، اولا بأول . وكانت القوات الالمانية قد استولت على المستعمرات الفرنسية فى الشام . اى سوريا ولبنان بعد هزيمة فرنسا وتسليم بيتان وحكومة فيـــشى . وكان يقيم فى مدينة بيروت سياسى المانى مشهور هوفون روزين وفى هذه الاثناء قام رشيد عالى الكيلانى بثورته فى العراق .. يهدف تحرير بلاده من قبضة الانجليز وساندته المانيا وساعدته على انجاح ثورته .

وفكر الالمان فى الاتصال بعزيز المصرى . فقد كـــانو يعرفـــون الكثير عنه , وعن قدراته , وعن تاريخه القديم خلال الحرب العالميـــة الاولى عندما حارب عزيز بجانب تركيا عندما كانت تركيا حليفة لالمانيا .

وذات يوم ، وكنت فى زيارة عادية لعزيز المصرى فـــى منزلـــه بعين شمس فوجئت بعزيز المصرى يقول لى :

ــ ياانور .. اريد ان اقول لك عن موضوع فى غاية الاهميـــة . تعال معى نخرج الحديقة.

وتركنا منزله وتجولنا فى حديقة المنزل الواسعة . ثـــم ســـمعت عزيزالمصرى يقول لى :

ــ لقد اتصل بى الالمان وطلبوا منى ان اذهب اليهم فى بيروت !

وسالته :

ـ هل قالوا لك عن سبب رغبتهم فى مقابلتك ؟

فقال :

ـ لا .. وان كنت اعتقد ان الامر يتصل بالثورة التى قام بها صديقى رشيد عالى الكيلانى فى العراق . فانت تعلم ان الزحف الالمانة فى روسيا وصل الان الى مشارف القوقاز . فقد عبروا شبه جزيرة القرم ووقفوا عند حدود القوقاز . وكان المخطط الالمانى يهدف الى ان ياتى روميل ويعبر مصر ليلتقى مع القوات الالمانية القادمة من القوقاز وتركيا ، والعراق فى طريقها الى الهند التى كانت تمثل حلما من اغلى احلام هتلر .

وملانى هذا الخبر فخرا بعزيز المصرى فالرجل صديق قديم لرشيد عالى الكيلانى . كما انه يعرف مناطق القوقاز وبلغاريا كما يعرف بيته فى عين شمس فقد حارب مع الجيش التركى وف تلك المناطق واكتسب فيها خبرة ومعرفة كبيرتين .

وسالت عزيزالمصرى :

ـ وما هو المطلوب منا ان نفعله ؟

فرد عزيز المصرى :

عميلهم اليونانى الذى التقيت به فى جروبى ونقل لى رغبة الالمان فى رؤيتى , واخبرنى بانهم

سيرسلون لى طائرة المانية لنقلى من القاهرة الى بيروت ! وطلبوا منى ان احدد لهم المكان الذى ستهبط فيه الطائرة , على ان يكون فى الصحراء قريبا من القاهرة واكون فى انتظارها هناك ساعة الغروب عندما يحددون اليوم . فما رايك ؟

فقلت له :

الامر فى منتهى السهولة وسابحث لك عن ارض نزول مناسبة وقريبة من القاهرة كما طلبوا .

ولم يكنمن المعقول طبعا ان نفكر فى اى مطار من المطارات العسكرية التى يسيطر عليها الانجليز ، وبدانا البحث عن ارض نزول خارج القاهرة وليست بعيدة جدا عنها او مطار قديم غير مستخدم اى يكون مهجورا .

وتذكرت ان لدى الانجليز فى الخطاطبة بالقرب من القاهرة وهذا المطار غير مستخدم تقريبا واحضرت خريطة حددت فةقها مكان المطار وعلاضتها على عزيز المصرى ووافق عزيز المصرى وقال :لنذهب لمعاينة المكان فورا .

وركبنا سيارة عزيز المصرى من طراز سكودا واصطحبنا معنا عبد المنعم عبد الرؤوف الطيار الذى اخترته ليعمل معى فى التنظيم السرى ويكون نائبا عنى فى كل شئ

وانطلقا بالسيارة تجاه الخطاطبة ..

وتوقفنا عند المطار ولاحظنا ان ارضيته مغطاة بطبقة من الاسمنت المسلح وليس من الاسفلت ونزلنا من السيارة لنعاين المكان على الطبيعة . وكان من الواضح انه غير مستخدم بدليل عدم وجود علامات لاطارات الطائرات فوق طبقة الاسمنت .

وقبل ان نهنئ انفسنا على اكتشافنا العظيم فوجئنا بوجود مخازن بريطانية على يمين وعلى شمال المطار! وكاننا فار دخل الى المصيدة ! وتوقعنا ان ياتى الجنود والضباط لالقاء القبض علينا وبدء التحقيق الطويل معنا . واتضح لنا ان هذه هى مخازن الذخيرة الرئيسية للقوات البريطانية فى مصر .

وامتلأ قلبى بالخوف فانا المسئول عما حدث فقد اخترت هذا المطار واكدت انه غير مستخدم وبالتالى فان حياة عزيز المصرى مسئوله منى , وكل ما استطعت ان اقواله هو اننا يجب ان نغادر هذا المكان باسرع ما يمكن .

ووافقنى عزيز المصرى على رايى واندفع الى عجلة القيادة وامرنا بان نركب السيارة بسرعة وانطلق بنا عزيز المصرى يجرى بسيارته السكودا الصغيرة بشكل لم اكن اتصوره او اتوقعه من عزيز المصرى بالذات فسيارته ــ سكودا ــ مزودة باطارات رفيعة وغير صالحة للسير فوق الرمال الناعمة وكان من المتوقع ان تغرز تلك الاطارات فى الرمال بين خطوة واخرى .

ولكن عزيز المصرى قاد السيارة بمهارة لم اشهدها فى حياتى ، فقد خيل الى انه كان يعرف اين الرمال الرخوة فيبتعد عنها، واين الارض الصلبة فيتجه اليها ، وكان فى ابتعاده واقباله يجرى بسرعة رهيبة وكانه يطارد الشيطان أو يطارده الشيطان !

ولم يتوقف عزيزالمصرى ليلتقط انفاسه الا بعد ان وصلنا الى طريق القاهرة اسكندرية وبعد ان قطعنا المسافة فى ساعة ونصف لا تنسى ابدا .

وحتى يومنا هذا لا اعرف كيف نجونا من الانجليز بل وكيف نجونا من حادث انقلاب السيارة المتوقع فى كل لحظة نتيجة للقيادة البهلوانية التى كان يقوم بها عزيز المصرى ؟!

المهم جلسنا ــ عزيز المصرى وعبدالمنعم وانا ــ واتفقنا على استحالة هبوط الطائرة الالمانيةفى هذا المطار المحاط بترسانة ذخيرة

بريطانية من كل جانب ! وعدنا الى القاهرة على امل البحث عن مطـــار جديد اكثر امنا ..

وفى مساء اليوم التالى وعقب عودتى الى منزلى فوجئت برسالة من عزيزالمصرى يطلب منـــى فيهـــا ضـــرورة الـــذهاب اليـــه فـــور عودتىوكانت الساعة قد تعدت مساء ونزلت مرة ثانية وتوجهـــت الـــى بيت عزيز المصرى وكان الرجل فى انتظارى وبمجرد جلوســـى امامـــه قال :

لقد ارسل لة الالمان اشارة اليوم حددوا لى فيها المكـــان الـــذى اختاروه لهبوط الطائرة . فعلى طريق ــ الواحات المتفرع مـــن طريـــق القاهرة ــ الفيوم يوجد جبل اسمه جبل اسمه جبل رزه .

وعند هذا الجبل ستهبط الطائرة فى واد صغير امام الجبل .

وفوجئت بما قاله لى عزيز المصرى او على الاصح فوجئت بما يعرفه الالمان عن بلادنا وقال لى عزيز المصرى انهم سبق ومـــسحوا الصحراء المصرية شبرا شبرا ... عن طريق بعثات الاستكشاف التـــى كانت تصل الى مصر وتيم فيها فترات طويلة تـــدرس خلالهـــا تـــدرس خلالهاالصحراء وتحدد معالمها وترسمها فوق الخرائط .

وسالنى عزيز المصرى :

هل تعرف جبل رزه هذا ؟

فقلت له :

نعم اعرفه فهو مرتف ويمكن ان تراه من اى مكان وهو واضح جدا على الخريطة.

فقال :

اريدك ان تذهب غدا لتستكشف المكان وتقدم تقريرا لى عنه .

وبالفعل ذهبت فى اليوم التالى واستاجرت سيارة من طراز " اوبل " من صاحب محل لتاجير السيارات اسمه انور فى شارع الانتكخانة وكانت تلك الصالات تؤجر سياراتها للجنود الانجليز فقط دون المصريين ولا اعرف السبب الذى جعل انور هذا ــ رحمه الله ــ يوافق على ان يؤجر لى احدى سياراته !

وركبت السيارة وانطلقت بها فى اتجاه جبل رزه . ولم اكن ــ بالطبع ــ فى مهارة عزيزالمصرى فى قيادة السيارة فوق رمال الصحراء .. فقبل ان اصل الى جبل رزه بنحو ١٠كيلو مترات اضطررت الى التوقف خوفا من ان تغرز عجلات السيارة ولا استطيع انتشالها منها مما يعرضنى لاكتشاف امرى فى حالة ظهور الانجليز وما اكثر مرورهم فى تلك المناطق .

وعدت الى القاهرة وذهبت لتوى الى بيت عزيز المصرى وقلت له اننى رايت الجبل واننى لم اتمكن من الوصول اليه خوفا من الرمال الرخوة . وقلت له اننى ساشترى سيارة مزودة باطارات عريضة " بالون " تصلح للسير فوق الرمال .

ولم اتردد وذهبت الى وكالة البلح وعاينة سيارة بيك اب من مخلفات الجيش البريطانى مستعملة بثمن رخيص واشترطت على البائع ان يضع فيها اطارات بالون فتنبه البائع لطلبى وقال لى : ساحتاج الى مهلة يومين قبل ان احضر لك الكاوتش البلون فما رايك ؟

فقلت له :

لا مانع وسامر عليك بعد يومين لااتسلم السيارة بالكاوتش البالون .

ورجعت لعزيز المصرى سعيدا وقلت له :

لقد اشتريت سيارة ودفعت العربون وسنتسلمها بعد يومين ولن نكون فى حاجة للذهاب الى جبل رزه للاستكشاف فالسيارة مزودة باطارات بالون قادرة على الجرى فوق الرمال دون ان تغرز وتغوص فيها فاطمئن . عليك فقط ان تتفق مع الالمان على موعد وصول الطائرة الى جبل رزه لنكون فى انتظارها كما اقترح ان ترسل لهم وتطلب ان يرسلوا لنا فى تلك الطائرة اسلحة وذخيرة وقنابل .

وارسل عزيز المصرى اشارة بما تم الى الالمان وطلب منهم ارسال اسلحة مختلفه فى الطائرة فوافقوا على طلبنا وحددوا اليوم الذى ساتصل فيه الطائرة وكان بعد اسبوع من وصول تلك الاشارة اللاسلكية .

وعرفت ان الطائرة التى ستصل من نوع غريب وفريد فهى مزودة بثلاثة محركات وكنت اظن ان جميع الطائرات باربعة محركات او باثنين فقط .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى اسمع فيها عن طائرة بثلاثة محركات . وقيل لى ان تلك الطائرة خاصة بالقواد فهى لا تحتاج الى مطار طويل لتهبط فيه اوتقلع منه وتستطيع ان تقلع بعد الجرى بضعة امتار قليله فوق الارض وقبل ان اذهب لاستلام السيارة البيك اب فوجئت بامر عسكرى بنقلى على الفور الى الخدمة فى الجراولة ! وهى تقع فى قلب الصحراء عند مرسى مطروح ولا تشكل اية اهمية عسكرية ولم يكن امر النقل مفاجئة لى .

فقد كنت اتوقع حدوث اى شئ فلم يكن خافيا على ان المخابرات العسكرية والبوليس الحربى والمخابرات البريطانية من خلفى لرصد حركاتى ومراقبتى منذ اليوم الاول الذى قابلت فيه عزيز المصرى !

واتصلت على الفور بزميلى عبد المنعم عبد الرؤوف وقلت له :

غدا تذهب ومعك هذه النقود وتدفعها لتاجر وكالة البلح وتتسلم منه السيارة البيك اب وتذهب بها وتنتظر الاوامر من عزيزالمصرى .

وكان الامر الذى تلقيته ان اكون فى الجراولة خلال ٢٤ ساعة وكنت اعرف ان هذا النقل هو لمجرد الابعاد عن القاهرة . فعمل سلاح الاشارة فى الجراولة يقوم به جندى برتبة اومباشى فكيف يطلب من يوزباشى مثلى ان يذهب الى هناك ويحل محل الاومباشى فى العمل على جهاز لاسلكى بسيط ؟ وطرأت فكرة على بالى ..

وقمت بتنفيذها بلا ادنى تردد ..

ذهبت الى انور صاحب محل تأجير السيارات واستأجرت منه نفس السيارة الاوبل ومشيت بها فى احد الشوارع الخالية ثم اقتربت من عامود انارة فوق الرصيف واصطدمت به صدمه بسيطة مرسومه وكافيه لاقناع الناس بانها حادثة .

وجاء المارة يسرعة لانقاذ سائق السيارة التى اصطدمت بعمود الانارة وقبل وصولهم كنت قد وضعت راسى فوق عجلة القيادة واغلقت عينى وكاننى مغمى على !

وحملونى حملا لنقلى فى سيارة اخرى الى اقرب مستشفى عسكرى وكان بالقرب من كوبرى القبة وقام المستشفى بابلاغ سلاح الاشارة بان اليوزباشى محمد انور السادات اصيب فى حادث سيارة ويحتاج الى علاج بالمستشفى لمدة اسبوع !

وموعدنا فى الحلقة القادمة بأذن الله .

www.anwarsadat.org